السيرة النبوية للفتيان

(٤)

الهِجْرَةُ

إعـــداد

أ.د. أحمد عمر هاشم

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الهجرة/ لجنة التاليف والترجمة ـ مكتبة العبيكان ـ الرياض.

٣٢ ص؛ ٢٢سم. ـ (سلسلة السيرة النبوية للفتيان)

ردمك: ٨-٥٨٧-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٥٩١-٢٠-٩٩٦٠ (ج٤)

١- السيرة النبوية　　أ- العنوان

ديوي ٢٣٩　　٢٠/٢١٩٤

ردمك: ٨-٥٨٧-٢٠-٩٩٦٠　　رقم الإيداع: ٢٠/٢١٩٤

٦-٥٩١-٢٠-٩٩٦٠ (ج٤)

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

[النحل: ٤١، ٤٢]

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأُولَى

كمَا ينبثقُ النورُ منْ بين الظُّلمة انبثقتْ دعوةُ الرسول ﷺ منْ مكةَ إلى يثربَ، وأسلمَ منهَا ستةُ رجالٍ، وعادُوا إلى بلدِهم لينشرُوا فيهَا نورَ الإسلام.

وفي موسم الحجِّ في السنة الثانيةَ عشرةَ للبعثة النبوية جاءَ هؤلاء الستةُ وقدْ تضاعفَ عددُهم إلى اثنَيْ عشرَ رجلاً، جاءُوا ليعلنُوا إسلامَهُم أمامَ النبيِّ ﷺ ويبايعُوه، فواعدَهم النبيُّ ﷺ أنْ يلقاهُم عندَ العقبة بعدَ أن ينحدرُوا من منًى، فجاءَ هؤلاء النَفَرُ الاثنا عشرَ، وكان منهُمُ اثنان من الأوْس وهمَا: أبو الهيثَم بنُ التَّيهان، وعُويم بنُ ساعدةَ من بني عمرو بن عَوْفٍ.

وعشرةٌ من الخزرَج، وهمْ: أسعدُ بنُ زرارة، وعوف ومعاذُ ابنَا الحارث من بني النجَّار، وذكوانُ بنُ عبد قيسٍ، ورافعُ بنُ مالكٍ من بني زُرَيْق، وعبَادةُ بنُ الصَّامت، ويزيدُ بنُ ثعلبةَ أبو عبد الرحمن من بني عوف ابن الخزرج، وعباسُ بنُ عبادةَ بن نضلةَ من بني عامر بن عوف، وعقبةُ ابنُ عامر بن نابئٍ من بني سَلَمَةَ، وقطبةُ بنُ عامر بن حديدةَ من بني سَواد.

ويروي لنا عُبادة بنُ الصامت - رضيَ اللهُ عنهُ - كيفَ تمَّت المبايعةُ فيقولُ:

بايعنَا رسولَ الله ﷺ ليلةَ العَقَبة الأولَى: «أنْ لا نشركَ بالله شيئًا، ولا نسرقَ، ولا نزنيَ، ولا نقتلَ أولادَنا، ولا نأتيَ ببهتان نفتريه بينَ أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيَه في معروف.

فقالَ ﷺ: فإنْ وفيتُم فلكُمُ الجَنَّةُ، وإن غَشيتُم[1] من ذلكَ شيئًا فأخذتم بحدِّه في الدنيَا فهوَ كفَّارةٌ له، وإن سُترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركُم إلى الله، إن شاءَ عذَّبَ وإنْ شاءَ غَفرَ.

وبذلكَ تمتْ بيعةُ العقبة الأولَى، فعادَ القومُ إلى يثربَ لينشُرُوا دينَ الله هناكَ، وأرسلَ معهُم النبيُّ ﷺ مصعبَ بنَ عُمَيْرٍ العَبْدَريَّ؛ ليقرئَهم القرآنَ، ويشرحَ لهُمْ تعاليمَ الإسلام، وكانَ لهذه البيعة أثرُها المهمُّ، وكانَ لمصعب بن عمير أثرُه الجليلُ، بوصفه أوَّلَ سفير للدعوة خارجَ مكةَ؛ بما بثَّه في أهل يثربَ من مبادئ الإسلام وتعاليمه، وبما اشتملتْ عليه هذه التعاليمُ منْ فضائلَ تصلحُ بهَا الدنيَا، وتقومُ علَى

(١) غشيتم: وقعتم.

أساسها خيرُ أمّةٍ أخرجت للناس . . لذا أقبلَ الناسُ على اعتناق الإسلام، ولم تبقَ دارٌ من دُور الأنصار إلا أشرقَ فيها نورُ الإسلامِ .

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةُ

اغتاظَ المشركوَن وغضبوا، إذ باءَتْ جميعُ محاولاتهم في محاربة الدعوة الإسلامية بالفشل، وهاهوَ عددُ المسلمينَ يزدادُ يومًا بعدَ يوم ومَا من بيت إلا دخَلهُ الإسلامُ؛ ودفعَ المشركينَ غيظُهم هذا إلى زيادة تعذيب من أسلمَ منْ ضُعَفَاء المسلمين والتنكيل بهمْ، ولم يكونُوا يعلمونَ أنَّ للإسلام امتدادًا آخرَ خارجَ مكةَ وأنَّ نورَ الإسلام دخلَ أكثَر بيوت يثربَ.

فقدْ مكثَ مصعبُ بنُ عمير - رضيَ اللهُ عنهُ - عامًا في يثربَ (المدينة المنورة). وكانَ عددُ المسلمينَ عند قدومه لَهَا اثنَيْ عشرَ رجلاً، وها هو يعودُ بعدَ عام ومعَهُ منْ أهل المدينة ثلاثةٌ وسبعونَ رجلاً ومعهُم امرأتان، أعلنُوا إسلامَهم، وعلَّمَهم مصعبٌ مبادئَ الإسلام وتعاليمَه، وهاهم قدْ جاءُوا يبايعونَ الرسولَ ﷺ في موسم الحجِّ في المكان الذي تمَّتْ فيه البيعةُ الأولَى عندَ العقبة، إذ سبَقَهُمُ النبيُّ ﷺ إلى ذلكَ المكان واستقبلَهُم مادًا يَدَيْه الشريفتَين بالنور ليبايعوهُ علَى الحقِّ والصبر.

وكانَ أولَ من تكلَّم العباسُ بنُ عبدِ المطلب عمُّ النبيِّ ﷺ فقالَ:

- يا معشرَ الخزرج، إنَّكُم قدْ دعوتُم محمداً إلى ما دعوتُمُوه إليه، ومحمَّدٌ من أعزِّ الناس في عشيرته، يمنعُه[1] والله منَّا مَنْ كانَ علَى قوله، ومَنْ لَمْ يكُنْ منَّا علَى قوله يمنعُه للحَسَب والشَّرَف.

وقد أبَى محمدٌ الناسَ كلَّهم غيركم، فإنْ كنتُم أهلَ قوة وجلَد وبصَر بالحرب، واستقلال بعداوة العرب قاطبةً ترميكُم عن قوس واحد فارتأوا رأيكُم وائتَمرُوا بينكم، ولا تفرَّقوا إلا عن مَلإٍ منكمْ واجتماع، فإنَّ أحسنَ الحديث أصدقُه.

فقالَ البراءُ بنُ معرور:

- قد سمعْنَا ما قلتَ، وإنَّا - والله - لوكانَ في أنفسنا غيرُ مَا تنطقُ به لقلنَاهُ، ولكنَّا نريدُ الوفاءَ والصدقَ وبذلَ مُهَجِ أنفُسِنا دونَ رسول الله ﷺ.

وتحدَّثَ الرسولُ ﷺ فتلاَ عليهم آيات من القرآن الكريم ورغَّبَهم في الإسلام، وذكَّرَهم الذي اجتمعُوا لهُ وهوَ بَيْعَتُه ﷺ، فتقدم البراءُ ابن معرور وقالَ:

---

(١) يمنعه هنا بمعنى يحميه.

- يا رسولَ الله بايعْنَا فنحنُ أهلُ السلاح، ورثنَاها كابراً عنْ كابرٍ، وعَلَتْ أصواتُهم بكلماتِ المبايعةِ فقالَ العباسُ ابْنُ عبد المطلب وهوَ آخذٌ بيد الرسول ﷺ:

- أخفُوا جرسكم[1] فإنَّ علينَا عيونًا، وقدِّمُوا ذوي أسنانكم[2]، ثم إذا بايعتُم فتفرَّقُوا إلى محالِّكُم.

ثم التفتَ إلى النبيِّ ﷺ قائلاً:

- ابسُط يدك يا رسولَ الله.

فبسطَ النبيُّ ﷺ يدَه الشريفَةَ، وتقدَّمَ البراءُ بنُ معرورٍ، فكانَ أولَ مَنْ وضعَ يدَه في يد النبيِّ ﷺ، ثم ضربَ السبعونَ كلُّهم علَى يده وبايعُوه.

وبذلكَ تمتْ بيعةُ العقبة الثانيةُ. وقبلَ أن ينصرفَ القومُ اختارَ منهُم النبيُّ ﷺ اثنيْ عشرَ نقيبًا تكونُ مهمتُهم العملَ علَى تنفيذِ بنود هذه البيعة. وقدْ قالَ لهُم رسولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أي أخفضوا صوتكم.

(٢) أي الكبار أولاً.

- أنتُم كُفَلاءُ على غيركم كفالةَ الحواريينَ لعيسَى ابن مَرْيَم، وأنا كفيلٌ علَى قومي.

فقالُوا جميعًا في صوتٍ واحدٍ:

- نعمْ.

ثمَّ قالَ الرسولُ ﷺ لهُم: ارفَضُّوا[1] إلى رحالِكم.

وكانَ النقباءُ تسعةً منَ الخزرج وثلاثةً منَ الأوسِ، وهمْ:

١) أسعدُ بن زرارَةَ بن عدسٍ.

٢) سعدُ بنُ الربيع بن عمرو.

٣) عبدُ الله بنُ رواحةَ بن ثعلبةَ.

٤) رافعُ بنُ مالكِ بن العجلان.

٥) البراءُ بنُ معرور بن صخرٍ.

٦) عبدُ الله بنُ عَمرو بن حرامٍ.

---

(١) ارفضّوا: ارجعوا.

٧) عُبادةُ بنُ الصامت بن قيسٍ .

٨) سعدُ بنُ عبادةَ بن دليمٍ .

٩) المنذرُ بنُ عمرو بن خنيسٍ .

١٠) أسيدُ بن حضير بن سماكٍ .

١١) سعدُ بنُ خَيْثَمةَ بنِ الحارثِ .

١٢) رفاعةُ بنُ عبد المنذر بن زبيرٍ .

وعادَ القومُ إلى رحالِهم .

وكانَ الأوسُ والخزرجُ أخويْنِ لأمٍّ وأبٍ ، وأصلُهُم من اليمن من سبأ ، ولكنَّ العداوةَ وقعتْ بينَهم في يثربَ بسبب قتيل ، فلبثت الحربُ بينَهم سنوات طويلةً حتى جمعَ بينَهم الإسلامُ ، وألَّفَ بينَ قلوبهم ـ بتوفيقٍ من الله تعالَى ـ رسولُ الله ﷺ ، فأصبحُوا بنعمةِ الله إخوانًا .

ووصلَ خبرُ البيعة إلى زعماء قريش فأثارَ قلقَهم ؛ لأنَّهُم كانوا يعلمونَ عواقبَ هذه البيعة وتأثيرَها على علاقاتهم بزعماء الأوس والخزرج ، فسارعُوا إليهم في خيامهم ليستوثِقُوا من الخبر ، فنفَى

زعماءُ الأوس والخزرج - من غير المسلمينَ - هذَا الخبرَ، بينمَا نظرَ المسلمونَ بعضُهم إلى بعض ولم يتكلَّمُوا، ورجعَ كفارُ قريش مطمئنينَ. ولكنْ بعدَ أن رجعَ أهلُ المدينة إلى بلدهم تأكَّد زعماءُ قريشٍ من صحةِ الخبرِ فبدأوا يَزيدونَ في تعذيبِ المسلمينَ.

إلى دار الهِجْرةِ

اشـتـدَّ إيذاءُ المشـركينَ للمـسلمينَ، فـشكَوْا إلى رسـول الـله ﷺ واستأذنُوه في الهجرةِ، فمكثَ أيامًا، ثم خرجَ إلى أصحابهِ مسروراً وهوَ يقولُ:

- قـد أخبـرتُ بدار هجـرتكـم، وهيَ يثـربُ، فـمنْ أرادَ الخروجَ فليخرجْ إليهَا.

فأخذَ المسلمونَ يخرجُونَ ذاهبينَ إلى هناكَ أفرادًا وجماعات في سرِّية تامة. وكانَ أولَ المهاجرينَ أبو سلمةَ وزوجتُه وابنُه سلمةُ، وكانَ طفلاً رضيعًا.

ثمَّ هاجرَ صهيبٌ الروميُّ فلحقَه كفارُ قريش في الطريق وقالُوا له: أتيتَنَا صعلوكاً حقيرًا فكثُر مالُكَ عندَنا، وبلغتَ الذي بلغتَ، ثمَّ تريدُ أن تخرُجَ بمالكَ ونفسكَ؟! والله لا يكونُ ذلكَ. فقالَ لهُم صهيبٌ:

- أرأيتُمْ إنْ جعلتُ لكُم مالي، أتخلّونَ سبيلي؟

قالوا: نعمْ.

قالَ: فإنِّي قدْ جعلتُ لكُم مالِي.

فبلغَ ذلكَ رسولَ الله ﷺ ، فقالَ:

-رَبِحَ البيعُ يا صهيبُ، ربحَ البيعُ.

* * *

وتتابعَ المسلمونَ يهاجرونَ في سريّة تامة، إلا ما كانَ من عمرَ ابن الخطّاب - رضيَ اللهُ عنهُ- فإنه قدْ هاجرَ علانيةً وتحدَّى قريشًا قائلاً:

- منْ أرادَ أن تَثْكَلَه أمُّه أو ييتمَ ولدهُ، أو ترملَ زوجتُه فلْيلقَني وراءَ هَذا الوادي.

فلمْ يجرُؤ أحدٌ أنْ يتبَعه.

أمّا أبو بكرالصدِّيقُ - رضيَ اللهُ عنه - فقدِ استأذنَ في الهجرةِ، فقالَ لهُ رسولُ الله ﷺ:

- لا تعجلْ لعلَّ اللهَ يجعل لكَ صاحبًا.

وأمَّا عليُّ بنُ أبي طالب - رضيَ اللهُ عنهُ - فقدْ بقيَ مع الرسولِ ﷺ بمكةَ، بلْ بقيَ بعدَه ليقومَ بردِّ الودائع التي كانتْ عندَه إلى أصحابِها.

مؤامرةُ قريشٍ

خافَ المشركونَ أنْ يلحقَ رسولُ الله ﷺ بالمسلمينَ في يثربَ ويصبحَ للمسلمينَ قوةٌ هائلةٌ يجابهُهم بهَا رسولُ الله ﷺ فلا يستطيعونَ أنْ يقاومُوه، وعندئذ يتطوَّرُ الموقفُ ويتعقَّدُ، وقد يؤدِّي إلى ضياع بضاعتهم، وكساد تجارتهم؛ لأنَّ يثربَ ذاتُ موقعٍ حيويٍّ، فهيَ تقعُ في الطريق بينَ مكة والشامِ، فرأوْا أنَّ هذه الدعوةَ وما تحملُه من دينٍ أصبحتْ تشكلُ خطراً جسيمًا على عقيدتهم وعلى تجارتهم، وعلَى مستقبل حياتهم كلِّه، فنهضُوا ليعدُّوا للأمر عُدَّته، واجتمعُوا في دار الندوة وجمَعُوا أهلَ الحُجَّة والرأي فيهم ليدليَ كلٌّ واحد منهُم برأيه. وحضرَ إبليسُ معَهُم في صورة شيخ نجْديٍّ. وأشارَ كلٌّ واحدٍ منَ القوم برأي:

فقالَ قائلٌ منهُم:

- نخرجُه من أرضنا، وننفيه إلى مكان بعيد حتى نستريَح منهُ.

ولكنَّ هذا الرأيَ لم يلقَ قَبُولاً؛ لأنَّهم يرَوْنَ أنَّه إذَا خرجَ التفَّ حولَه الناسُ، وتألَّفتْ به القلوبُ لِما لهُ من عذوبةٍ في الحديث وجمالٍ في المنطقِ.

فقالَ آخرُ:

- نوثِقُه ونحبسُه حتَّى يموتَ كمَا ماتَ مَن قبلَه من الشعراءِ.

ولكنَّ هذَا الرأيَ أيضًا لم يصادفْ قبولاً كذلكَ، إذْ يعلمونَ أنَّهم إذا حبسُوهُ فسوفَ يظهرُ أمرُهُ وتتراءَى أخبارُهُ لأصحابِهِ وهنَا يتواثبونَ عليهِم ليخلِّصُوه منهُم ويغلبُوهم.

فوثبَ أبو جهلِ بنُ هشامٍ، وقالَ وهوَ يعبثُ في لحيتِه:

- والله إنَّ لي فيه رأيًا ما أراكُم وقعتُم عليهِ.

فقالُوا:

- وما هُوَ يا أبَا الحكَم؟

قالَ:

- أرَى أن نأخذَ منْ كلِّ قبيلة في قريش غلامًا جَلْدًا، ثمَّ نعطيه سيفًا صارمًا، فيضربونَه ضَرْبَة رجلٍ واحدٍ، فيتفرَّقُ دمه في القبائلِ، فلا يدرِي بنو عبد منافٍ بعدَ ذلكَ ما يصنعونَ.

هنَا أقرَّ إبليسُ الذي كانَ في صورةِ شيخٍ من أهل نجد هذَا الرأيَ وأشادَ به، وقالَ: هذَا والله الرأيُ. واتفقُوا جميعًا على تنفيذ المؤامرة وأصبحُوا يخطِّطونَ لهَا بإعداد السيوف واختيار مجموعةٍ من شبابِهم الأقوياءِ لتنفيذِ الخطةِ واغتيالِ الرسولِ ﷺ .

النور المهاجر

فشلُ مؤامرةِ الكُفَّار

لـمَّا دبَّرَ الأعداءُ مؤامرتَهم، وحاكُوا خيوطَها في الخفاءِ أرادَ اللهُ تعالَى أن يحبطَ ظُلمَهم ويردَّ كيدَهُم في نحورهم، فأرسلَ جبريلَ - عليه السلامُ - إلى رسول الله ﷺ فأخبرَهُ الخبرَ، وأمَره ألا ينامَ في مضجعه تلكَ الليلةَ.

ومع ظلامِ الليلِ جاءَ المشركونَ يتسلَّلونَ نحوَ بيت النبيِّ ﷺ يرفعونَ سيوفَهم التي تلمَعُ في الظلامِ فتكشفُ عن وجوه علاها الشرُّ والعناد.. ووقفُوا أمامَ بيت النبيِّ ينتظرونَ خروجَه ليضربُوه ضربةَ رجلٍ واحد كما خطَّطُوا. وظلُّوا واقفينَ إلى أن خرجَ النبيُّ ﷺ ومشَى بينَ أيديهم دونَ أن يراهُ أحدٌ منهُم، فقدْ جعلَ اللهُ تعالَى علَى أعيُنهم غشاوةً فلم يبصرُوه ﷺ.

وحتَّى يُثبتَ لهُمُ الرسولُ ﷺ ذلكَ وضعَ علَى رؤوسِهم قليلاً من التراب، ومضَى في طريقِه.

وأفاقَ الكفَّارُ ينفُضُونَ الترابَ من فوق رُءُوسهم وكانَ علَى رأسهم أبو جهل، والحكَمُ بنُ أبي العاص، وعُقبةُ بنُ أبي مُعَيْط، والنَّضرُ ابنُ الحارث، وأميَّةُ بنُ خلَف، وزَمْعَةُ بنُ الأسود، وطُعَيْمةُ بنُ عديٍّ، وأبو لهبٍ، وأبَيٌّ بنُ خلَفٍ، ونبيهٌ ومنبهٌ ابنا الحجّاج.

ثمَّ أتاهُم رجلٌ ممَّن لم يكنْ معَهم، فقالَ:

- ما تنتظرون ها هنَا؟

قالوا:

- محمداً.

قالَ:

- خيَّبَكم اللَّهُ، قَدْ - والله - مرَّ بكُم وذَرَّ علَى رؤوسكم التراب. أفمَا ترونَ ما بكُم؟ فوضعَ كلُّ رجلٍ منهم يَده على رأسِه فإذا عليه تُرابٌ.

فقالوا:

- والله ما أبصرنَاه.

وما لبثُوا أن اقتحَمُوا بيتَ النبيِّ ﷺ فوجدُوا عليًا - رضيَ اللهُ عنهُ- قد نامَ مكانَ الرسولِ ﷺ، وتغطَّى ببُردته، فاغتاظَ المشركونَ، وسألُوا عليًا، فقالوا:

- أينَ ذهبَ محمدٌ؟!

فقالَ لهُم:

- لا علمَ لِي به.

فتركَهُ المشركونَ وانطلقُوا يبحثونَ عن النبيِّ ﷺ، وهم في حالةٍ مائجةٍ من الغضبِ والحنق والندمِ علَى فواتِ فرصتِهم، وضياعِ خُطَّتِهِم.

الصاحبانِ

نجَا رسولُ الله ﷺ من مؤامرة قريشٍ لاغتياله، وأسرعَ إلى دار أبي بكرِ الصديق - رضيَ اللهُ عنهُ - وكانَ الرسولُ ﷺ متلثمًا وهوَ يسيرُ إلى دار أبي بكرٍ . . وهناكَ قالَ لأبي بكرٍ:

- إنَّ اللهَ قدْ أذنَ لي في الخروج.

ففرحَ أبو بكرٍ - رضيَ اللهُ عنهُ - وقالَ:

- هيَ الصحبةُ إذنْ يا رسولَ الله، فخُذْ - بأبي أنتَ وأمِّي - إحدَى راحلتيَّ هاتين.

فقال ﷺ:

- بالثَّمَن.

لقد اشترطَ رسولُ الله ﷺ أنْ يأخذَ الراحلةَ بثمَنها، حتَّى تكونَ هجرتُه في سبيل الله من ماله خالصةً لوجه الله سبحانَه وتعالَى.

وكان أبو بكر قد اشتَرى راحلتينِ بثمانمائة درهم، فأخذَ النبيُّ ﷺ إحداهُمَا وهي القَصْواءُ.

وأمرَ أبو بكرٍ عائشةَ وأسماءَ - رضيَ اللهُ عنهمَا - بتجهيز الراحلتين فجهَّزتاهما في سرعة، وقامتْ أسماءُ بنتُ أبي بكر فقطعتْ قطعةً من نطاقها[1] فربطتْ بهِ علَى فم جراب راحلة النبيِّ ﷺ ولذلكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النطاقَينِ.

ومَضَى الرسولُ ﷺ وصاحبُه أبو بكرٍ في هجرتهما إلى المدينة المنورة، مودعًا مكةَ الحبيبةَ، وقد قالَ - مخَاطبًا مكةَ - وهو ينظرُ إلى البيت الحرام:

- «والله إنَّك لأحبُّ أرض الله إليَّ، وإنَّك لأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ، ولولا أنَ أهلَكَ أخرجُوني منكِ ما خرجتُ».

(١) النطاق: ما يشد به الوسط.

في الغارِ

خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى غار ثَوْر، ويقعُ جنوبَ مكةَ علَى بعد خمسة كيلُومترات منها، وأدركَ كفارُ قريش أنَّه فرَّ من مكةَ، فأعلنُوا عن جائزة ثمينة قدرُها مائةُ ناقة لَمَنْ يأتي به حيّا أو ميتًا. وتسابقَ الشبابُ من المشركينَ بحثًا في الطريق من مكةَ إلى المدينة، كلٌّ يحاولُ الظفرَ بالجائزة، حتى وصلَ بعضُهم إلى الغار، وأصبَحُوا بحيثُ لو نظرَ أحدهُم تحتَ قدمَيْه لرأى الرسولَ ﷺ وصاحبَه أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنه.

ولكنَّ العنايةَ الإلهيةَ قامتْ بدورِها الخارق للعادة، وأيَّدَ اللهُ نبيَّهُ بالسَّكينةِ، وأيَّدَهُ بجنود لم يَرَوْهَا.

ولذلكَ لما فَزِعَ أبو بكر من وجودهم أمامَ الغار قالَ: يا نبيَّ الله، لو أنَّ أحدَهم نظرَ إلى ما تحتَ قدمَيْه لأبصرَنا.

فقالَ له ﷺ: «ما ظنُّكَ يا أبا بكرٍ باثنينِ اللهُ ثالثُهما؟ لا تحزنْ إنَّ اللهَ معنَا»[1].

* * *

(١) صحيح البخاري: ١/٥١٦، ٥٥٨، ومختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمد بن عبد الوهاب. ص: ٩٣

وهكذا مكثَ رسولُ الله ﷺ هوَ وصاحبُه في الغار ثلاثَ ليال. وكان يبيتُ عندَهما عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ، يحضرُ لَهُما الطعامَ، وينقُلُ لهُما أخبارَ قريش وما يدورُ في أنديَتهم ومجتمعاتهم، وكانتْ لأبي بكر منيحةُ غنم يرعاهَا عامرُ بنُ فُهَيْرةَ فكانَ يأتيهِم ليلاً فيحتلبون ويشربونَ منها.

* * *

وانطلقَ الرسولُ ﷺ وصاحبُه أبو بكر يُكملان طريقَهما إلى يثربَ، وقد استأجرَ الصِّدِّيقُ - رضيَ اللهُ عنهُ - دليلاً هوَ عبدُ الله ابن أرَيْقط.

وفي طريقهم مَرُّوا براعٍ يرعى الغنم، يدعى أبا معبد الخزاعي فقال له رسول الله ﷺ: هل من شاة ضربها الفحل[1].

قال: لا، ولكن ههنا شاة قد خلفها الجهد.

قال: ائتني بها.

فأتاه بها، فمسح ضرعها، ودعا بالبركة فحلب، فسقى أبا بكر ثم

(١) يقصد أنها قد ولدت قريباً.

حلب فسقى أبا معبد الخزاعي، ثم حلب فشرب، فقال له أبو معبد: تالله ما رأيت مثلك! من أنت؟

قال رسول الله ﷺ: إن أخبرتك تكتم علي؟

قال: نعم.

قال: أنا محمد رسول الله.

قال: أنت الذي تزعم قريش أنك صابئي؟

قال النبي ﷺ: إنهم يقولون ذلك.

قال: فإني أشهد أنك رسول الله، وأنه لا يقدر على ما فعلت إلا رسول.

ثم قال للنبي ﷺ: أتبعك؟

فقال له النبي ﷺ: أما اليوم فلا!، ولكن إذا سمعت أنا قد ظهرنا فأتنا، فأتى النبي ﷺ بعدما ظهر بالمدينة(١).

(١) معجم الطبراني الكبير (٥٤٣/ ٨١) وهذه القصة صحيحة بخلاف قصة أم معبد فإنها لا تصح.

سُرَاقَةُ والجائزةُ

مضَى رسولُ الله ﷺ وصاحبُه أبو بكرٍ في طريقهما إلى المدينة تحرسُهُما عنايةُ الله، بينما كانتْ قريشٌ في أسواقها واجتماعاتها تعلنُ عن جائزةٍ كبرى لمنْ يأتي برسول الله ﷺ أو صاحبه. وسمعَ سراقةُ ابنُ مالكٍ بالخبر، فطمع في الجائزة، وكانَ أسبقَ قريش في العدْو بالفرسِ، فطمعَ في الجائزةِ، وخصوصًا بعدَ أن دخلَ عليهِ رجلٌ يقولُ:

- يا سراقةُ إنِّي رأيتُ آنفًا سوادًا بالساحل، أراه محمدًا وأصحابه

فعرَفَ سُراقةُ الطريقَ الذي يجبُ أن يسلُكَه، ولكنَّه أرادَ أن يضلِّلَ الرجلَ حتَّى لا يسبقَهُ إليهما، فقالَ لَه:

- إنهُم ليسُوا كما تظنُّ، بلْ بنو فلانٍ يبحثونَ عن ضالَّةٍ لهم.

ثمَّ انصرفَ سراقةُ وركبَ فرسَه وشقَّ غبارَ الصحراءِ.

حتَّى اقتربَ من النبيِّ وصاحبه. وكانَ رسولُ الله يقرأُ من القرآن دونَ أن يلتفتَ، بينمَا كان أبو بكرٍ - رضيَ اللهُ عنهُ - يلتفتُ يمينًا وشمالاً حرصًا على رسول الله ﷺ، فلمَّا رأى سُراقةَ يقتربُ منهمَا

انزعجَ فنبَّهَ رسولَ الله لذلكَ، فدعا على سراقةَ، فلم تلبثْ أنْ غاصتْ يَدا فرسه في الأرض، ثمَّ قامَ وركبَ فرسَه مصرّاً علَى اللحاق بهما، ولم يلبثْ أن عَثَرتِ الفرسُ مرةً أخرَى وغاصَتْ يَدا فرسِه في الأرضِ.

فقالَ:

- قدْ علمتُ أنَّ الذي أصابَني بدعائكما، فادعوا اللهَ لي ولكُمَا أن أرُدَّ الناسَ عنكُما، فدعَا لهُ الرسولُ ﷺ فخلصَتْ يدُ فرسه، فانطلقَ بعدَ أن كتبَ له الرسولُ كتابَ أمان كتبَه أبو بكر في أديم، ووعدَه - عليه الصلاة والسلام - بسوارَيْ كسْرَى، وقدْ وفَى له الرسولُ ﷺ بأمانه في فتح مكةَ، كما ألبسَهُ عمرُ بنُ الخطاب - رضيَ اللهُ عنهُ - سواري كسرَى بعدَ انتصار المسلمينَ في القادسية، وبكَى عمرُ وبكى المسلمونَ حَينذَاكَ تأثُّراً بهذَا الموقفِ العظيمِ الذي تحقَّق فيه ما وعدَ به الرسولُ عليه الصلاةُ والسلامُ.

وقالَ عمرُ بنُ الخطاب - رضيَ اللهُ عنهُ - لسراقةَ:

- قل الحمدُ لله الذي سلبَهُما كِسْرَى بنَ هُرْمُزَ وألبسَهما سُراقةَ الأعرابيَّ.

إنَّ موقفَ سُراقةَ ليدُلُّنا على أنَّ اللهَ تعالَى يحرسُ الحقَّ، ويرعَى الدعوةَ، ويحيطُ الرسولَ ﷺ وأتباعَه بالعنايةِ الربانيةِ. وأنَّ الباطلَ مهَما قوِيَتْ شوكَتُهُ فهوَ إلى زوالٍ ونهايةٍ.

المدينةُ في استقبال النورِ

لقدْ أخذَت الرحلةُ ثمانيَةَ أيامٍ، وانتظرَ أهلُ يثربَ خلالَها رسولَ الله في لهفة وشوق، ولما مرَّت الفترةُ اللازمةُ للرحلة ولمْ يصلْ بعدُ ازدادتْ لهفتُهُم، وصارُوا يصعَدونَ الأماكنَ العاليةَ وينظرونَ إلى بعيدٍ، حتَّى طالَ بهم الانتظارُ، فرجَعُوا إلى بيوتِهم، فإذَا رجلٌ من اليهودِ يصيحُ على أطَمٍ بأعلَى صوتِه:

- يا بني قيلةَ هذا صاحبُكم قد جاءَ، هذا جدُّكم[1] الذي تنتظرونَه. فخرجَ أهلُ المدينة عن بَكْرة أبيهم، وإذَا برسول الله ﷺ وأصحابه الثلاثة، وإذَا الفرحةُ تسودُ الجَميعَ، وتنسابُ الغبْطَةُ من كلِّ القلوب، وخرجَ الأنصارُ بأسلحتهم في استقبالِ الرسولِ وسُمعَ التكبيرُ؛ حيثُ كبَّرَ المسلمونَ فرحًا بقدومِ ضيفِهم العزيزِ، ونبيِّهم الكريمِ.

وكانَ رسولُ الله ﷺ قدْ نزلَ في قُبَاءَ، ومكثَ فيهَا أربعةَ أيامٍ، أسَّسَ فيها مسجدَ قُباءَ الذي وصفَه اللَّهُ بقولهِ:

---

(١) جدُّكم: حظكم.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾(١).

وفي قباءَ لَحقَ عليٌّ بن أبي طالبٍ - رضيَ اللهُ عنهُ - برسول الله ﷺ بعدَ أن قامَ بردِّ الودائعِ إلى أهلِها، ودخلَ المدينةَ معَ الموكبِ النبويِّ الشريفِ.

وسارَ الموكبُ النبويُّ يحيطُ به الأنصارُ وكُلَّما مرَّ على دار من دُورِهم دعاهُ أهلُها للنزولِ عندَهم، وأخذُوا بزمامِ ناقتهِ، فيقولُ لَهُم رسولُ الله ﷺ:

- دعوَها فإنَّها مأمورةٌ.

وظلَّت الناقةُ سائرةً حتَّى بركتْ أمامَ دارِ أبي أيوب الأنصاريِّ، واسمُهُ خالدُ بنُ يَزيدَ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: هاهُنا المنزلُ إن شاءَ اللهُ، وتَلا قولَ الله تعالَى:

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة التوبة، آية ١٠٨.

(٢) سورة المؤمنون آية ٢٩.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
- بيعة العقبة الأولى	٥
- بيعة العقبة الثانية	٨
- إلى دار الهجرة	١٤
- مؤامرة قريش	١٦
- النور المهاجر . فشل مؤامرة الكفار	١٩
- الصاحبان	٢٢
- في الغار	٢٤
- سراقة والجائزة	٢٧
- المدينة في استقبال النور	٣٠